الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

أهمية اللغة العربية في تكوين الشخصية والهوية لدى المواطن العربي المسلم المحور 53

- اسم الباحثة: حسبية الدار
- المرتبة العلمية: أستاذة مشاركة
- التخصص: اللغة العربية (فقه اللغة والمعجم)
- مكان العمل: كلية اللغة العربية بمراكش
- الدولة: المغرب
- البريد الإلكتروني : h.addar@uca.ma

الملخص

اللغة العربية هوية الأمة والمساهم في بناء شخصية المواطن العربي المسلم، وبالتالي فالعلاقة بين اللغة والوطنية والدين علاقة رحم ونسب، لذا من واجبنا رعايتها والحفاظ عليها، باعتبارها العنصر الرئيس في تكوين المواطن المسلم، لأنها لغة الدين الإسلامي والهوية العربية ومن خلالها تتقوى شخصية الناطقين بها وتتبين هويتهم الحضارية والدينية، فالقرآن قد خاطب العالم بأسره باللغة العربية، وبما أن الإسلام خاتم الرسالات وأن القرآن نزل باللغة العربية فهي بذلك أم اللغات، وبالتالي يحق للعرب أن يفخروا بلغتهم وبالمكانة العظيمة التي تبوأتها باقترانها بالقرآن، فحين يتكلم العربي لغته يرتبط أكثر بالقيم التي تحملها اللغة العربية وبذلك تتقوى شخصيته وهويته كعربي مسلم.

فلغتنا العربية في أمس الحاجة إلى العناية، بسبب ما أصابها من إهمال لهجر العرب لها عبر الانبهار باللغات الأجنبية التي لا تحمل في طياتها هويتهم، الأمر الذي أصبح مطلباً استعجاليا من قبل الأسرة والمجتمع، لأن رفعة اللغة من رفعة الأشخاص والمجتمعات. فاللغة تعكس واقع الأمم، إذ أنه لا مجتمع بدون لغة ولا لغة من دون مجتمع.

يهدف هذا البحث إلى الإجابة على السؤال التالي: ما هو الدور الذي تلعبه اللغة العربية في تكوين شخصية وهوية المواطن العربي المسلم؟

الكلمات المفاتيح:

اللغة العربية - الأسرة - المجتمع -الشخصية - الهوية - المواطن العربي - المسلم.

مقدمة

اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تقوم بدور الاتصال والتواصل بين الأفراد والجماعات، وهي شديدة الارتباط بالمجتمع كيفما كان نوعه، فلغة الطفل تنمو وتتطور متى كانت الأسرة التي يعيش بين أحضانها مستقرة اجتماعيا، فالأسرة هي وسيلة الاتصال الأولى للطفل مع اللغة، والتي تخضع للتطور داخل المجتمع الذي تنتمي إليه. أخبر إبراهيم أنيس نقلا عن م م لويس في كتابه اللغة في المجتمع" أن اللغة وسيلة لصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية، وأنه كلما ازداد الفرد توغلا في عضويته للمجتمع، ووثوقا في صلته به ، زاد دور اللغة ، لا في حياته الاجتماعية فحسب، بل في سلوكه وإحساسه وتفكيره أيضا. " [1]

فاللغة أداة للتواصل بين الأفراد والجماعات، وهي وسيلة لمعرفة عادات المجتمع وتقاليده، وثقافته، وحضارته، فتاريخ اللغة يمكننا من الوقوف على تاريخ الحضاراتِ الإنسانية .

مفهوم اللغة:

لغـــة:

لغا، اللَّغْو واللَّغا: السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع. قال صاحب التهذيب: اللَّغْو واللَّغا واللَّغْو ما كان من الكلام غير معقود عليه.

عن الفراء: وقالوا كلُّ الأَولاد لَغاً أَي لَغو إِلا أولاد الإِبل فإِنها لا تلغى، قال: قلت وكيف ذلك؟ قال لأَنك إِذا اشتريت شاة أَو وليدة معها ولد فهو تبع لها لا ثمن له مسمى إِلا أَولاد الإِبل، وقال الأَصمعي: ذلك الشيء لك لَغْوٌ ولَغاً ولَغْوَى وهو الشيء الذي لا يُعتدّ به. قال الأَزهري: واللُّغة من الأَسماء الناقصة، وأَصله لُغْوة من لَغا إِذا تكلم واللَّغا: ما لا يُعدّ من أَولاد الإِبل في دية أَو غيرها لصغرها.[2]

اصطلاحا:

تعددت التعاريف الاصطلاحية لمصطلح "اللغة"، حيث عرفها صاحب الخصائص بقوله: " أما حدها، فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [3]

وقال ابن خلدون: "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده"[4]

وقال ابن الحاجب:" اللغة كل لفظ وُضع لمعنى".[5].

---

[1] الهوامش:

- إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف بمصر، ص 34

[2] - ابن منظور، لسان لعرب، دار الفكر ،الطبعة الثالثة 1414هـ - 1994م، مادة (ل غ ا)، ج15 ص 250

[3] - ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1371هـ - 1952 م، ص 33

[4] - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة :ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر بيروت لبنان، ط: 1421هـ 2001 ج 1 ص 753

[5] - ابن الحاجب، مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، دراسة وتحقيق وتعليق ندير حمادو، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1423هـ - 2003 م، ص 16

قال الأنباري الكلام:"ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه".[6]
وقال تمام حسان: "الكلام أداء فردي في إطار اجتماعي ما، وهذا الإطار هو اللغة."[7] وبذلك تجمع التعريفات الاصطلاحية على أن اللغة أداة تواصل اجتماعية، ينتجها المجتمع.للتواصل وللتعبير عما حوله، لما لها من

حمولة حضارية تتمكن من التأثير في الأجيال، وحين تتحد بالفكر، تصدر عنها حضارة المجتمع الذي تنتمي إليه، فهي صورة للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الذي تصدر عنه.

مفهوم الأسرة

لغة: الأسرة في اللُّغة: "الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، ويطلق على الجماعة يربطها أمر مشترك وجمعها أسر".[8]

اصطلاحاً:

الأسرة وهي: "الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميولاته وعواطفه واتجاهاته في الحياة ويجد فيها أمنه وسكنه"[9]

كما تُعرَّف بأنَّها: "النظام الاجتماعي الذي ينشأ عنه أول خلية اجتماعية تبدأ بالزوجين، وتمتد حتى تشمل وقد عرّفتها د. سناء الخولي بأنَّها: "جماعة اجتماعية أساسية ودائمة ونظام اجتماعي رئيسي، وليست الأسرة أساس وجود المجتمع فحسب، بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى منه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية"[10]

---

[6] - محمد بن سعيد الأنباري، أسرار العربية ، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود، دار الأرقم للطباعة والنشرن بيروت لبنان،الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م، ص: 35

[7] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ص 46

[8] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، 2005 1/17.

[9] - عقلة محمد: نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة –الأردن،ج 1 ،ط 2 ،1989 م، ص 18.

[10] - سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة لعربية، 49.

والأسرة في العرف الاجتماعي السائد: "المجموعة الصغيرة والمكوّنة من الزوجين والأبناء، أساس هذه الأسرة الزوجان المكونان من رجل وامرأة، وهما اللذان يقومان بالدور الأساس والفعّال في التكوين والتنظيم والرقابة من البداية إلى النهاية"[11].

تعد الأسرة مكونا أوليا وأساسيا في المجتمع. فبالنسبة للأبناء تعمل على تعليمهم الأخلاق والقيم والعادات الاجتماعية التي تغرس فيهم الانتماء إلى الوطن والتضحية من أجله. الأسرة مقوم أساسي من مقومات المجتمع فالبيت المكان الأول الذي يتلقى فيه الإنسان التربية وأبجديات اللغة. " ينظر الإسلام للأسرة على أنها نواة المجتمع والمكوّن الأساسي له، والبيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الإنسان فتؤثر عليه سلباً أو إيجاباً، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[12].

اللغة وعاء الفكر

يقول الدكتور أنور الجندي بأن اللغة العربية " استمرت أكثر من عشرة قرون لغة العلم والفكر والسياسة في العالم كله."[13]فهناك علاقة وطيدة بين اللغة والهوية وتكوين الشخصية حيث يُتوصل إلى معرفة قوتها من خلال تشبث الأشخاص بها عبر الدفاع والدود عنها بكل ما أوتوا من قوة.

ويقول الفيلسوف الألماني فيخته" أينما توجد لغة مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تيسير شؤونها وإدارة حكمها".[14]

اللغة مرآة تعكس أحوال الناطقين بها اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفنيا، ونظرتهم إلى الحياة وكذا تربيتهم وتوجهاتهم الدينية، فمن خلال كون العربية لغة الإسلام فإنك حينما تعبر عن الأشياء فإنك تتوسل الحشمة والوقار عبر استعمال المجاز، وخير مثال على ذلك ما نجده في تعابير القرآن الكريم، النموذج الأساس في قوله تعالى ((

---

[11] - حسن أيوب: السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2002م ، ص 198

[12] - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح من مور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور بصحيح البخاري، الحديث رقم الحديث 1385، طبعة 1437 هـ - 2016م، جمعية البشرى الخيرية، ص740

[13] - أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، 1402هـ - 1982م الموسوعة الإسلامية العربية، ص 16.

[14] - ساطع الحصري، ماهي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ، ص 56.

نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم))[15]، وقوله تعالى ((لامستم النساء))[16] وقوله أيضا ((أحل لكم ليلة الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم))[17]

كما أن مدلول الكلمة يتطور وفقا لتطور المجتمع الذي أنتجها نحو : 'القطار' 'البريد' 'الريشة' ،وعبارة بنى الرجل على امرأته، وأيضا وفقا لانتقال الكلمة من العلوم إلى الخصوص أو من الخصوص إلى العموم: (من العموم إلى الخصوص: الصلاة - الحج - الخ) من الخصوص إلى العموم نحو:(اليأس الورد الرائد النجعة إلخ) ثم انقراض بعض لكلمات التي انتقلت من معناها الأصلي إلى معناها لمجازي.

<u>ما قيل في تمجيد اللغة العربية</u>

فاللغة "ليست مجرد مجموعة اعتباطية من الرموز كونتها الصدفة المحضة، فاللغة تاريخية في جوهرها، فهي على مرور الزمن تجمع معلني وتخلق ارتباطات وتثير ذكريات. إن معرفة لغة من اللغات إذا أُريد لها أن تكون معرفة عميقة حقا، لا تعني فقط مجرد المقدرة على ترجمة الفكر إلى لغة أخرى، وإنما تعني أن كل كلمة تستعمل يجب أن تعبر تعبيرا دقيقا عن التصور القائم في ذهن مستمعيها.وأن كل كلمة يجب أن تفهم ليس فقط في فحواها المباشر الواضح ، وإنما في معناها التاريخي، أي جذورها وكيفية استعمالها في الماضي."[18]

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام أن للعرب: " لغة كاملة معجبة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، تكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، وتتمثل في نبرات الحروف، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة."[19]

إن" من أبرز خصائص اللغة العربية أن أبناءها اليوم وبعد ألف وخمسمائة سنة يفهمون أسفار الجاهلية والمخضرمين كما يفهمون أشعار أبي تمام والبحتري والمتنبي أو كما يفهمون أشعار أبي العلاء والشريف الرضي ويفهمون أشعار فحول المتقدمين."[20]

ويقول بلاشير: إن وحدة اللغة العربية هي وحدة أخلاقية ودينية قبل كل شيء، مؤسسة على وحدة تاريخ اللغة. وإننا كلما درسنا اللغة الفرنسية لاحظنا أنها تطورت عبر العصور بحيث نجد لها أطوارا فإذا قارنا حالة اللغة

---

[15] - سورة البقرة الآية: 221

[16] - سورة النساء الآية: 43

[17] - سورة البقرة الآية: 186

[18] - أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، ص 254

[19] - عبد الوهاب عزام، مهد العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 مصر العربية، ص 12

[20] - الفصحى لغة القرآن، 15

الفرنسية في العصور الوسطى وجدنا أنها مغايرة كل المغايرة للغة المستعملة في القرن السابع عشر، وهذه أيضا مختلفة عن

لغتنا اليوم، هذه الوحدة في اللغة الفرنسية لا تتضح إلا بالبحث والمقارنة في حين أن وحدة اللغة العربية تتضح للقارئ ولو كان أجنبيا لأول وهلة: نعم، لغة القرآن هي لغة اليوم وهذا ما تتميز به العربية عن اللغات الأخرى."[21]

مفهوم المجتمع

لغة: لفظ مجتمع مشتق من الفعل:جمع، يقول ابن فارس " الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على نظام الشيء"[22].

والجمع بمعنى ضم الشيء بعضه لبعض بعد تفرقه، يقال : جمع الشيءَ يجمعه جمعا، وجمعه وأجمعه فاجتمع وتجمع واستجمع، ومن ذلك: المجموع وهو الذي جمع من هاهنا وهاهنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وتجمع القوم: اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، والجماع: أخلاط من لناس، وقيل: هم الضروب المتفرقون من الناس"[23].

وجماع الناس: أخلاطهم من قبائل شتى، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض، يقال له جماع. والمجتمع: "موضع الاجتماع، والجماعة من الناس"[24]

اصطلاحا:

المجتمع: " فالمجتمع عبارة عن جماعة من الناس تحكمهم عادات وتقاليد متفق عليها يخضعون لها جميعا، وتربطهم علاقات منظمة ومصالح مشتركة، و هو في نظر مالك بن نبي" الجماعة التي تغير دائما خصائصها ، الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير"[25].

---

[21] - الفصحى لغة القرآن، 16

[22] - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط اتحاد الكتاب العرب، 1423 هـ - 2002 م ،1/426

[23] - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، اتحاد كتاب العرب، 1423هـ - 2002م، 1/426

[24] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 136

[25] - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، (2018 ،(دار الفكر، (ط12) ،(دمشق)، ص17

مفهوم الهوية:

لغة : مصدر صناعيّ من هُو الْإِنْسَانِ: حَقِيقَتُهُ الْمُطْلَقَةُ وَصِفَاتُهُ الْجَوْهَرِيَّة[26]

اضطلاحا:

"الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق."[27]

هوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير،.تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلى مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة !إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات

فمع الإسلام في مكونات الهوية الثقافية، تأتي لغتنا العربية، التي هي لسان الإسلام ووحيه المعجز، والتي ضمن لها القرآن الكريم - منذ نزل بها- امتيازا على كل لغات الدنيا، هو الخلود الذي أراده الله لهذا القرآن، والحفظ الذي ضمنه الله لهذا الذكر الحكيم..فمع أنها - كلغة- هي مواضعات بشرية، إلا أن ارتباطها بالقرآن - المطلق - قد ضمن لها وحقق فيها قدرا عظيما من الإطلاق الذي يتميز به الدين ونبأ السماء العظيم.

"ومع الإسلام في مكونات الهوية الثقافية، تأتي لغتنا العربية، التي هي لسان الإسلام ووحيه المعجز، والتي ضمن لها القرآن الكريم-منذ نزل بها- امتيازا على كل لغات الدنيا،...فمع أنها -كلغة- هي مواضعات بشرية، إلا أن ارتباطها بالقرآن- المطلق- قد ضمن لها وحقق فيها قدرا عظيما من الإطلاق الذي يتميز به الدين ونبأ السماء العظيم".[28]

التعامل مع اللغة العربية بما يليق بها

لقد مر على استعمال اللغة العربية ما يزيد على ألف وستمائة سنة فمنذ عصور الإسلام الأولى ارتبطت اللغة العربية بحياة المسلمين فصارت لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة ، فضلا عن كونها لغة الدين والعبادة،فاللغة

---

[26] -معجم المعاني عربي عربي، مادة: هوي

[27] - الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص 216

[28] - محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر ، 1999م الطبعة الأولى ص 9

العربية تحولت من كونها أداة معرفية ولا تزال، إلى اكتسابها مهام أخرى فهي مرآة تعكس هوية وفكر وشخصية ومكان الناطق بها ووضعه الاجتماعي والثقافي والديني لأن لكل لغة قصتها وحضارتها.

فاللغة العربية هي الوعاء الروحي لشخصيتنا كعرب، ومناط قوميتنا وتراثنا المجيد ، ومادة حضارتنا، ولغة القرآن الكريم الخالد ، وبذلك فهي والدين الحنيف لا يفترقان حيث كانت ولا تزال وسيلة التواصل الروحي والديني والفكري بين المسلمين.

قال الرافعي: ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويتلقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد، أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأما الثاني: فالحكم على ما فيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأما الثالث : فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع."[29]

حينما ندرس اللغة العربية لغير الناطقين بها يجب استحضار أننا ندرس لغة القرآن، وهنا التنافس عنصر جوهري، بل نراه مطلبا جوهريا حقيقا باللفت له والتنبيه عليه. حيث أن تعليم اللغة للأجانب يتم عبر أهداف لا يجهلها الساهرون على العملية، فهم يدرسون لغتهم باعتبارها وعاء للثقافة التي تحملها بين طياتها، وهي عند الفرنسيين تساوي الشرف الفرنسي، فالمدرس الفرنسي الذي يدرس لغته لغير الناطقين بها يعفى من التجنيد الإجباري في الجيش، باعتباره يحمل مهمة وطنية لا تقل عن مهمة الدفاع عن الوطن .

نحن أيضا علينا تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها بناء على قرارات صادرة عن الحكومات، لأن الأمر يحتاج إلى إمكانيات مالية وبشرية كبيرين، الأمر الذي عملت به الدول المتقدمة وكان سببا في نشر لغاتها، فتعليم الإنجليزية لغة أجنبية في بريطانيا تتكفل بهBRITISH COUNCIL والتي صارت من أكبر المؤسسات العلمية التعليمية في العالم، وتعليم اللغة الألمانية تتكلف به المؤسسة الوطنية الألمانية "جوته INSTITUTE CLAS" GOETHE والذي يوجد مركزه الرئيسي بميونيخ. عمل جبار من هذا النوع تنهض به مؤسسات وطنية كبيرة لابد أن يحمل رسالة واضحة.

[29] مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، مراجعة درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 3/29

ألا يعلم اللغة العربية لغير لناطقين بها من هم غير متخصصين في تدريسها بل لابد له من إعداد علمي في علم اللغة التطبيقي ؛

العالم العربي ينقصه ذلك لأنه لا توجد برامج علمية تقوم بذلك، إلا الجامعة الأمريكية بالقاهرة والجامعات السعودية وهذا أيضا يقتضي التفرغ الكامل. جميع الأمم تفتخر بلغاتها وهناك من أحياها بعد مماتها مثل اللغة العبرية، والصينيون لا يقرأون كتابا صدر بغير لغتهم إلا بعد ترجمته، فكيف يغار كل هؤلاء عن لغتهم ويسعون لنشرها بحمولتها الثقافية طبعا لأنهم واعون بأن اللغة توأم الوطنية، ولغتنا أقدس لأنها لغة آخر الكتب السماوية ألا وهو القرآن، فقراءته واجبة وبالتالي معرفة اللغة العربية واجبة أيضا "فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب."[30]

<u>دور الأسرة والمجتمع في تعلم الأبناء لغتهم وتكوين شخصيتهم</u>

لا يمكن أن تتنامى حصيلة الفرد اللغوية إلا إذا كان متصلا بغيره من الناس، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشط وتقوى وفق نشاط مجتمعها فقد حرص العرب على تعليم أبنائهم عن طريق السماع باعتباره وسيلة لكسب ملكة اللسان يرى ابن جني بأن الإنسان يولد ومعه الاستعداد لتعلم اللغة :" تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقنا من ملقن".[31]

يتأثر النمو اللغوي للطفل بمجموعة من العوامل من بينها ما هو بيئي وما هو أسري، إذ تساهم الأسرة وبشكل خاص الأبوان في تعلق الطفل باللغة التي تلقاها في صغره، ويزداد رصيد الطفل اللغوي من خلال تواصل الطفل بها فمعجمه اللغوي يتطور كلما كان محيطه مشجعا على تعلمها، فللأسرة الدور الأكبر في تحدث أبنائها بلغة هويتهم.

إذن فالأسرة مسؤولة عن ما آلت إليه اللغة العربية بسبب إهمال الأبناء لها، في غفلة من الوالدين علما أنه ودون وعي منهم ساهموا في هذه الوضعية الرهيبة، حيث أن المحافظة على اللغة العربية وليدة الغيرة عليها وبالتالي فدور

---

[30] - أبو الحارث الغزي، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية،مؤسسة الرسالة،الطبعة الرابعة 1416هـ - 1996م ص: 393

[31] - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى 1418 هـ - 1997م ص 34.

الأسرة يتجلى في تنشئة الأبناء على حبها والإيمان بأهميتها، لأن قضية اللغة العربية مسألة إيمان وليست مسألة إتقان، وتتجلى أهميتها في قول الله عز وجلا: ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)).[32]وقوله عز من قائل:((

كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون))[33] وقوله تعالى فعلى الأسرة أن تحرص على التحدث مع الأبناء باللغة العربية وأن يبينوا لهم قيمتها وأنها ليست مجرد كلام أجوف بل هي وعاء الفكر العربي الإسلامي وهي الهوية الوطنية والدينية للناطقين بها، فعلى الآباء أن يكونوا في ذلك قدوة لأبنائهم لأن الإناء يرشح بما فيه، ومتى آمنت الأسرة بحمولة اللغة ودورها في بناء الأسر والمجتمعات والأمم عكسته في تربيتها للأبناء.

فالمدرسة الأولى لتعلم كل المبادئ هي البيت وأعضاء الأسرة المعلمون، فالنشء يتعلمون اللغة عبر التواصل مع أفراد الأسرة، ولاسيما مع الوالدين اللذين من واجبهما تحسيس الطفل بأهمية التواصل باللغة العربية، وإجادتها قبل أي لغة وجعلها في مكان الصدارة باعتبارها لغة العروبة والإسلام، لكونها تحمل هويتهم فهي عنوان حضارتهم وتاريخهم المجيد الغني بالانتصارات والأمجاد. وهذا لا يتنافى مع تعلم اللغات الأخرى.

كانت الأسرة أحد العوامل الفاعلة في تراجع اللغة العربية لأنها شجعت الأبناء على تعلم اللغات والأجنبية دون رقيب، فكان حلمها أن يتكلم أبناؤها اللغة الأجنبية حيث كانت تتباهى بذلك، دون أن تدرك أن عليها دور توجيههم وأن تعمل على تنشئة الأبناء على حب لغتهم وتاريخهم وهويتهم، وتتأكد من مدى ترسخ كل ذلك قبل أن تترك شخصيتهم عرضة للغزو الثقافي، فقد كان أبناؤنا صفحة بيضاء لم تتلق التكوين الجيد ولم يتم تحصينها، وبالتالي اتخذوا الإنجليزية لغتهم الأم وصاروا يفتخرون بها ويحتقرون لغتهم ولغة دينهم وهويتهم، ويستحيون من الحديث بها وينعتونها بالنقص ويحتقرونها، لأن الأسرة لم تقم بالدور المنوط بها وهو ترسيخ كل هذه المبادئ لديهم، وبذلك وجدت لغة الآخر عقلا ولبا خاليين فتمكنت منهما، وما كانت لتستعمر العقل والقلب لو سبقت العربية إلى ملئهما والاستحواذ عليهما وتملكهما، فقد لعبت وسائل التواصل والإعلام، هذا الدور في مواجهة اللغة العربية والحيلولة دون الأبناء وتعلمها.

" ومثل اللغة في كل مجتمع كمثل الجين الوراثي(الكروموزوم) الخاص بذلك المجتمع تحمل في طياتها السمات الدقيقة لذلك المجتمع الذي أنتجها كلها،.....تنقل هذه الجينات الصفات الموروثة إلى المولودات الحية من أسلافها

---

[32] - سورة الحجر الآية: 9.

[33] - سورة فصلت الآية: 2

كذلك اللغة تنقل سمات المجتمعات من الأسلاف إلى الأبناء، فحري بعلماء اللغة أن يقرأوا اللغة قراءة دقيقة بوصفها حاملا وراثيا قدمه لنا أسلافنا لنتعرف على طبيعة حياتهم وحقيقة ما كانوا عليه في مجتمعهم من خلق وصفات ولنعرف بدقة كيف يمكن أن تؤثر لغتنا فينا؟ وكيف يمكننا أن نؤثر نحن فيها؟ ولم يبتعد علماء اللغة عن هذا كله

حينما صرحوا بأن اللغة كائن حي تولد وتنمو وتتطور، وقد تمرض وتهرم وقد تموت، وهي في كل ذلك مرتبطة بحياة أفرادها الناطقين بها."[34].

فقد حوربت العربية داخل المجتمع بشتى الوسائل، فمن مدع صعوبتها وعدم طواعيتها لمواكبة الحضارة، ومن داع إلى العامية ونبذ الإعراب، رغبة في إضعاف هذه اللغة القوية لأنها اختيرت لحمل الرسالة الإلهية، التي لم تكتسب قدسيتها من منزلها الروحية فقط، بل لما خصها الله به من قوة البلاغة من مجاز وخصائص الأسلوب وسعة في الصورة ، مما ليس له نظير في باقي اللغات.

فالأسرة أخطأت عندما درست أبناءها اللغات الأجنبية قبل أن ينمو عودهم، وكذلك المجتمع الذي شجع على ذلك، ولم يسع إلى ترسيخ لغتهم، بل وأكثر من ذلك صار التباهي في التحدث معهم بغير العربية مفتخرة باللغات الأجنبية وقناعة بأن هذا أسلوب حضارة، دون أن تراعى الهوة العميقة التي يرمي فيها النشء وأنه يسلبهم الهوية العربية الإسلامية. لذلك في ضل ما أصاب لغتنا وما آل إليه وضع أبنائنا من التخلي عن هويتهم وشخصيتهم، عبر تخليهم هن لغتهم بسبب كل المغريات التي حملتها معها العولمة من تكنولوجيا غزت بيوت العرب قاطبة، وجعلت أبناءنا غرباء عن واقعهم منبهرين بلغات الغير، يتحدثونها مبتعدين عن لغتهم التي لا يفهمونها، لأن المرء عدو ما يجهله.

تعامل العرب مع لغتهم

يقصر أبناؤنا دور اللغة في كونها وسيلة التخاطب والتواصل، ويفضلون اللغة الإنجليزية على لغتهم لأنها برأيهم تفتح لهم مجموعة من الآفاق نحو العالمية، حيث يستعملونها في ألعابهم وتواصلهم وتمدرسهم وقد غزت حتى بيوتهم، فانبهروا بها بل وفضلوها على لغتهم الأم العربية، فقامت مقامها في صدورهم، وهم في غفلة عن أهمية لغتهم التي هي جزء من الهوية الثقافية العربية الإسلامية.

[34] - سمراء شلواش، جدلية اللغة والمجتمع، بحث ماستر في علوم اللغة والأدب، تحت إشراف الشاعي باديار، السنة الجامعية 2014 م - 2015 م، ص 18

قال ابن تيمية:" فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية، التي في الصلاة والذكر، أن يُدعى الله أو يُذكر بغير العربية."[35] وقال أيضا " فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[36].وقال صادق الرافعي:" لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه."[37]

فلغتنا اليوم هجرت من طرف أبنائها، حيث تبرأوا منها وافتخروا باللغة الأجنبية، وأخذوا يتشدلقون بها وهم غافلون عن نوع ومستوى الأذى الذي يلحقونه بها وبأنفسهم. لأن من نبذ لغته فقد نبذ دينه، حيث لا تتم العبادة إلا بالقرآن وقد اختار الله له العربية لغة فمن هنا نالت قدسيتها. فالأمة التي تنقص من قيمة لغتها وتتبرأ منها فإنما تفتح لنفسها باب الخنوع أمام ثقافة الغير. يقول صادق الرافعي:" ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار".[38]

إذن علينا المسارعة لإنقاذ الإنسان العربي من الضياع والاستلاب لا اللغة "إذا فليس شرطا أن يكون الاحتلال وحده السبب الرئيسي في انهيار اللغة أو اضمحلالها، فاللغة المدعومة منظومة فكرية وعلمية ودينية واقتصادية قوية، تجدها أقوى في مقاومة الغزو الفكري والثقافي أيا كان مصدره."[39]

فاللغة وعاء الأحداث التاريخية والإنسانية، وكلما تقادمت ارتبط بها الإنسان أكثر لأنها تعكس ماضيه وحضارته. وبالتالي فإن النهوض باللغة العربية والمحافظة عليها لا يمكن أن يتأتى لنا إلا بالرجوع إلى الإنسان العربي واختبار مدى غيرته على مجده وهويته العربية والإسلامية. فالقضية قضية إنسان وليست قضية لغة فقط، فقبل محاولة إعادة بناء اللغة يجب إعادة بناء عقلية حاملها والمتحدث بها، لأن اللغة ليست مجرد ألفاظ بل هي تاريخ

---

[35] - أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت728 هـ) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل دار إشبيليا، الطبعة الثانية 1419هـ - 1998م.المملكة العربية السعودية 1/ 519.

[36] - المصدر نفسه، 1/ 527

[37] - مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، المكتبة العصرية،بيروت لبنان، 3/29

[38] - نفسه بتصرف

[39]

وحضارة وهوية أمة، فحاملها يجب أن يكون واعيا وعلى بينة بكل هذا، فالضعف لم يعتر لغة العربي، وإنما توغل إلى ثقاته ومدى وهويته العربية والإسلامية.

اللغة التي لا تعبر عن أغراض المجتمع ليست لغة لأن اللغة اجتماعية بطبعها، فإذا أردت الحديث بلغة فإنك تعبر عن مجتمع. فالشخص الذي يريد بكل شدة إظهار براعته في لغة غيره متنكرا للغته، ليس على بينة بعلاقة اللغة

بالهوية والفكر. وبالتالي تبقى المشكلة مشكلة إنسان وليس مشكلة لغة، فإذا لم نكن نتقن لغتنا الأصلية فإننا سنستلب من اللغة الأجنبية.

المشكل أن المستلب بلغة الغير لا يشعر بذلك، لأن هدفه الانتقال إلى عالم البهرجة والتفوق والظهور، ولكن ما لا يعلمه أنه إنسان أجوف لا يحمل في طياته هوية الأمة التي ينتمي إليها، أين عروبته وأين دينه، وهما كلاهما مستمدان من لغته، فهو لا يفرق بين هذا وذاك فلم يتم تلقينه ذلك لا في البيت ولا في المجتمع، فما أخبر به هو أن تعلم اللغة الأجنبية دليل للتميز والعصرنة.

المحافظة على اللغة العربية بناء للشخصية والهوية العربية الإسلامية

قال أبو منصور الثعالبي " من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلعم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العرب عني بها، وثابر عليها وصرف همته إليها.إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد."[40] في ضل الاستلاب اللغوي للعرب تتمثل جهود الأسرة والمجتمع في القيام بمجموعة من الخطوات الضرورية والجريئة والمتجلية في ما يلي:

- تحمل الأسرة والمجتمع أمانة الحفاظ على اللغة العربية عبر تعليمها الناشئة وتحبيبها إليهم، بإيقافهم على قيمتها المعنوية والمادية، وتوفير كل الحماية الممكنة للدفاع عن الشخصية والهوية للمواطن العربي المسلم. فمن أكبر التحديات التي تعيشها العربية هجر أبنائها لها وانصرافهم للتحدث بغيرها غير واعين بإجحافهم في حقها ؛

[40] - فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي الطبعة الأولى 1357 ه /1938 م مطبعة مصطفى البابي الحلبي ص 3.

- الدعوة إلى عدم استصغار دور حفظ القرآن وقراءته في تربية أبنائنا، لأثره البالغ على الفراغ الروحي والمادي الذي يحسون به ؛

- التشبث باللغة العربية الفصحى، ومناهضة كل من يدعو إلى باعتبارها لغة جامدة وقاصرة ولا تساير المستجدات الراهنة للعصرنة، والدعوة إلى العامية عبر التخلي عن قواعد اللغة.

- العناية باللغة العربية الفصحى حين استعمالها في الخطب الدينية والسياسية وفي الأبحاث العلمية بالجامعات والتعليمية بالمدارس.

- الدعوة إلى طريقة القدماء في تدريسية اللغة العربية عبر السماع، لما لهذه الحاسة من سبق على باقي الحواس في عملية التعلم؛

- ضرورة إتقان أولياء الأمر أي الآباء للغة العربية لأنهم أمام أبناء مستلبين لغويا ولا يتقون اللغة العربية ؛

- على الآباء وكذا المجتمع العمل تحصين الإنسان العربي من خلال نشر اللغة العربية ؛

- وضع قواعد وأصول تضبط الاستخدامات المختلفة للغة بين أفراد المجتمع وإلا انقلب التواصل إلى فوضى، بحيث تحكم تلك القواعد أو الضوابط ما يمكن أن يقال، وما لا يجوز أن يقال، وأن تحكم أصول التخاطب بين الأفراد المختلفين سنا، ومركزا اجتماعيا، وعلاقة اجتماعية، وعلاقة عاطفية ؛

- إعادة بناء الثقة عند أبنائنا اتجاه هويتهم العربية والإسلامية، عبر تعريفهم بحضارتهم والعلاقة الوطيدة بين اللغة والهوية وأن كلاهما وجهان لعملة واحدة ؛

- حث الأبناء على مواصلة الجهود للنهوض بالحضارة العربية على منوال ما قام به الأجداد، وإفهامهم بأنهم قادرون على حمل مشعل الحضارة العربية الإسلامية عبر تشبثهم بهويتهم والتي تمثل لغتهم أحد أهم أسسها، وأن اللغة لا تنفك عن مقومات الأمة التي تنتجها، فاللغة وعاء الفكر كما لا يمكن أن تنبهر بلغة الغرب لأنها تحمل ثقافتهم وهويتهم ؛

- عدم التحدث داخل البيت وخارجه، بغير العربية، مع تصحيح لغة الأبناء كلما أخطأوا وتعليمهم كيفية الافتخار بلغتهم ويحق لهم ذلك ؛

- نشر ثقافة قراءة الكتب العربية داخل البيت وتخصيص وقت محدد لقراءة القرآن جماعة، وتفسير بعض الآيات القرآنية والبحث في المعاجم عن معاني الكلمات الغير مألوفة ومحاولة استعمالها في كلامنا اليومي ؛

- تشجيع الأبناء على الإبداع من خلال قراءة القصص العربية التي تلهمهم أفكارا جديدة عن الحضارة والتربية الدينية، وكذا حثهم على نشر ما يفيد أبناء الأمة العربية فيما يخص التعريف باللغة العربية وبأمجادها، عبر لقطات محسوبة عبر استعمال التيكنولوجيا الحديثة بدلا من أن يكونوا مستهلكين لما ينتجه الغرب، عليهم أن ينشروا ثقافتنا العربية والدينية عبر اللغة العربية، وجعل الآخر يتعلم لغتنا لكي يتمكن من الاعتراف بما نملك من حضارة وفكر ؛

- اشتراط الوالدين على أبنائهم التواصل باللغة العربية دون غيرها من اللغات الأخرى ؛

- المحافظة على العادات والتقاليد يجبرنا على المحافظة على اللغة العربية، لأنها صلة الوصل بيننا وبين تراثنا الثقافي ؛

- التشبع بكون اللغة هي وعاء المعرفة والعربية الإسلامية ؛

- تشجيع الأبناء على الإبداع لأجل منافسة الغرب في ما ينتجون وجعلهم قوة اقتراحية لا أداة مستهلكة ؛
- محاربة الأمية داخل المجتمع ؛
- المرور بالوعي بالأزمة إلى حل المشكل عبر خلق جمعيات وتكتلات أسرية لمناهضة هجر العربية، وأن تبقى لغة تواصل وتفكير وتعبير مقابل أن تستعمل باقي اللغات عند اللوم فقط ؛
- التنسيق بين الأسرة والمجتمع حتى لا يضيع أبناؤنا في الهوة السحيقة بين لغة البيت ولغة الشارع والفصحى ؛
إشراك الأسرة في إعداد البرامج الخاصة بالأطفال والتي تبث عبر الأجهزة السمعية البصرية، على أن تكون باللغة العربية الفصحى مع العمل على تطويرها بما يتلاءم ومتطلبات العصر ؛
- إشراك الأسرة أثناء افتحاص الإعلانات الإذاعية والتلفزية، قبل بثها على القنوات لمراقبة ما يشين اللغة ؛

- انتباه الكبار للغتهم التي يحاكيها الأطفال بدءا من الأسرة وهيئة التدريس والمجتمع وكذا المشهورين من باقي فئات الشعب ؛
- دعوة الأسر والمجتمعات للمحافظة على اللغة العربية وتنميتها باعتبار الأسرة الحاضن الأول للمتكلمين بها والمجتمع البيت الكبير الذي يضم المتحدثين بها ؛
- استعمال تقنيات الذكاء الاصطناعي في حوسبة اللغة العربية، من أجل تمكين القارئ العربي من مواكبة المستجدات العالمية باللغة العربية ؛
- حوسبة اللغة العربية من أجل استعادة مجد اللغة، ونفي صفة العجز - المزيفة - عنها في مواكبة المستجدات ؛
- غرس روح الإبداع في أبنائنا من خلال توفير تطبيقات عربية محوسبة تشجعهم على حبها وتطويرها ؛
- تكثيف الأنشطة المجتمعية التي تعتني باللغة العربية ؛
- الاجتهاد في توفير التقنيات الحديثة للقراءة باللغة العربية ؛
- تطوير مناهج اكتساب اللغة العربية بما يناسب تطور المجتمعات ؛
- الحرص على التحدث باللغة العربية أمام أبنائنا ولاسيما في السنوات الأولى من التنشئة ؛.
- غرس مبادئ المواطنة في الطفل منذ الصغر ؛
- ضرورة توفير الجو الصحي لتلقي اللغة العربية داخل المجتمع.؛
- التفكير السليم وليد اللغة السليمة لأنك لن تعرب عما تفكر جيدا بما تفكر به إذا لم تتوفر على لوسيلة الجيدة ؛
- التقيد باستصدار كل متعلم لشهادة إتقان اللغة العربية الفصحى، الأمر الذي نحرص عليه بشدة مع اللغات الأخرى ؛
- العمل على الاستفادة من كل مقومات العولمة لصالح اللغة فنستثمر تكنولوجيا المعلوميات لتطوير تعليم اللغة العربية بين الناطقين بها وغير الناطقين بها، ومن خلالها التعريف بمقومات الهوية العربية الإسلامية. ويبقى من دور الأسرة والمجتمعات الدود عن اللغة من خلال الناطقين بها، باعتبارهما المسؤولان الرئيسان عن التنشئة اللغوية داخل المجتمع، فاللغة الرحم الاجتماعي للفرد والذي يسانده كلما تعرض لضغوطات العالم الخارجي.

- ردع ومقاومة كل أشكال التواصل مع الأهل والأقارب وكل العرب بغير اللغة الأم، سواء بالحديث المباشر أو عبر وسائل التواصل .

خاتمة:

نخلص مما تم طرحه من محددات إلى أن العلاقة بين اللغة الأسرة والمجتمع علاقة جدلية، علاقة تأثير وتأثر كل منها يؤثر في الآخر، فباللغة تحيا الأسر والمجتمعات، وداخل الأسر والمجتمعات تنمو اللغة وتكتسب هويتها، وأنه على الرغم من عملية الاستيلاب التي عرفها الإنسان العربي في الوقت الحالي جراء الطفرة النوعية التي عرفها

استعمال وسائل التواصل الاجتماعي بما تحمله من إديولوجيا بسبب العولمة، والتي حاولت مس هذه العلاقة الثلاثية، حيث حاول الزحف اللغوي الأجنبي طمس الهوية العربية، إلا أن الوعي بالخطر من طرف الأسرة

والمجتمع كفيل بإفشال مخطط العولمة، انطلاقا من إعادة ثقة الإنسان العربي في لغته التي ترسخ هويته وتقوي شخصيته العربية والإسلامية بفضل لغة القرآن.